الدرس الرابع – المنشآت الفلاحية و الأراضي الزراعية (الضيعات)

– المنشآت الفلاحية في المغرب القديم:

1– العقارات الفلاحية في المغرب القديم قبل الاستيطان الروماني:

لم يعرف تسجيل الملكيات من دون شك في المغرب القديم مع مجيء الرومان، ففي ظل وجود قبائل وممالك نوميدية كبيرة فإنها من المؤكد تكون قد عرفت تنظيما عقاريا، لا نقل بأنه كان محكما ولكن يكفينا القول بأنه كان جد منظما في ظل النقص الفادح في الأبحاث الخاصة بهذا الجانب، وإلا فكيف نفسر التعايش السلمي بين النوميد في أماكن عرفت مجتمعات بأكملها لولا وجود تنظيمات مفروضة في هذا الجانب.

فقبل التغلغل الروماني كانت نوميديا و موريطانيا تحت حكم الملوك المحليين الذين كانوا يملكون أراضي و ضيعات خاصة و جد واسعة، فماسينيسا تبنى سياسة توسيع وتكبير الضيعات الملكية[1] وهذا بفضل اهتمامه الكبير بالفلاحة بالإضافة إلى أخذه قطعة من الأرض بعد كل توسع خاصة في القسم الشرقي، أين كانت إدعاءاته ترتكز على تمديد ميراثه بحجة أن هذه الأراضي هي في حقيقة الأمر كانت ملكا لأجداده، وحسب "ديودور الصقلي"Diodore de Sicile فإن "ماسينيسا" ترك لكل واحد من أبنائه مزرعة كبيرة أو ضيعة بمساحة 10 آلاف بليتر* (plèthres)؛ أي ما يعادل حوالي 875 هكتار مجهزة بكل ما هو ضروري من أجل الفلاحة، [2] بالإضافة إلى اليد العاملة المتمثلة سواء في العبيد أو أشخاص يمتهنون الفلاحة أساسا ؛ أي أنهم مرتبطون بالأرض.[3]

هناك الكثير من الكتابات تتكلم عن وجود عدد معتبر من العقارات الكبيرة في المغرب، أين يشهد "فرونتان" Frontin على تقاليد المغرب التي تعتبر النموذج المثالي لحيازة النشاط الفلاحي من طرف كبار الملاك.[4]

---

[1] - **DEMSIRI- LAADOUA (L.),** Les Domaines Impériaux en Afrique du nord Romaines, p.265.

*- **بليتر:** هي وحدة قياس المساحات الفلاحية المربعة تقدر بـ: 10 آلاف قدم إغريقي من كل جانب أو ما يقدر حاليا بحوالي 9 آر.

[2] - **DIODORE DE SCICILE**, Bibliothèque Historique, Livre XXXII,14.; **CAMPS G.,** Aux origines de la berberie, Massinissa ou les débuts de …, Libyca 1960,1er sem. P.211-212.

[3] - **KOLENDO (J.)**, Le Colonat en Afrique sous le Haut-empire, p.27.

[4] - **Ibid,** p.23.

2- مصادر العقارات في المغرب القديم بعد الاستيطان الروماني:

بعد سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م. وبداية الاستيطان الروماني في المغرب القديم وإنشاء المقاطعات، أصبحت أراضي هذه الأخيرة خاصة تلك التي كانت ملكيتها تعود للمناطق التي ساندت قرطاج في حربها ضد روما بمثابة أراضي عمومية تابعة للشعب الروماني

".ager pvblicvs popvli romani"

فخلال الفترة الجمهورية كانت مختلف العقارات الإفريقية تخضع لملكية طبقتين اجتماعيتين مختلفتين؛ تمثلت الطبقة الأولى في قدماء الجيش الذين تحصلوا على قطع أرضية بعد انتهائهم من آداء واجبهم العسكري و ذلك من أجل ضمان حياة كريمة، فهم الذين شكلوا الأغلبية تقريبا من سكان المستعمرات، أما الطبقة الأخرى فتمثلت في الطبقة الرأسمالية التي قامت بشراء مساحات جد شاسعة من أجل خلق استثمار مالي.

فحسب "غزال"(Gsell) و نقلا عن سالوست فإنه في مقاطعة إفريقية الصغيرة التي أنشأت نصف القرن 2ق.م. كان هناك عبيد ريفيون يعيشون ربما في العقارات التي أصبحت ملكا لكبار الأثرياء الرومان.[5]

أما عقارات الفترة الإمبراطورية وخاصة الإمبراطورية منها فاختلفت نوعا ما في قوانينها و مصادرها مقارنة بالفترات السابقة، حيث أن المصدر الأول كان بالدرجة الأولى إما نتيجة:

أ- المصادرة:

عرفت عملية مصادرة الأراضي في كامل مراحل التاريخ الروماني وخاصة في فترات الإمبراطورية العليا في مختلف المقاطعات، حيث كانت تتم إما بقرار قضائي أو نتيجة فوز الإمبراطور على خصومه خلال حرب أهلية، هذه الظاهرة اقتصرت في بداية الأمر في المغرب القديم على ملكيات المدن التي ساندت قرطاج في حربها مع روما كما ذكرنا سابقا، و هي ما أطلق عليها اسم الأراضي العمومية Ager " publicus"، حيث أن الدولة احتفظت من دون شك بالجزء الأكبر كما تم بيع أو منح قطع منها لبعض الشخصيات المرموقة،[6] لتتحول خلال الفترة الإمبراطورية خاصة في عهد الأباطرة: "نيرون" و "كومود" و "سيبتيم سيفير" و "كاركلا" و "فاليريان".[7] بين الرومان نفسهم.

---

[5] - **GSELL (Stph.)**, Esclaves ruraux dans l'Afrique Romaine. GLOTZ, I , p.397.
[6] - **CAMPS-FABRER (H.),** L'olivier et l'huile dans l'Afrique Romaine, p.31.
[7] - **DEMSIRI- LAADOUA (L.),** op.cit., p.265.

كان هناك في القرن I ميلادي حسب "بلين" Pline ستة أشخاص يملكون نصف أراضي إفريقيا[8] يقول "شارل بيكارد" بأنهم من الطبقة السيناتورية، إذ أن الإمبراطور "نيرون" Néron قام بقتلهم و إدراج ملكياتهم من "اللاتيفونديا" *Latifundia* إلى الإرث الإمبراطوري. ففي الفترة الإمبراطورية كان الفارق الأساسي في الحيازة يتم على مستوى المواطنين الرومان القاطنين في روما les quirites و أيضا المواطنين الأحرار الغير حاملين لحق المواطنة الرومانية les pérégrins. و من جهة أخرى فالأراضي التي كانت تابعة للمدن الرومانية أو المحلية كان يجب عليها أن تتوحد، كما أن معظم المزارع الكبيرة أو الدومانات بعد ذلك أصبحت ملكا للإمبراطور[9] فتسمية دومان إمبراطوري تعني بأن الملكية راجعة إلى هذا الأخير، و تضم أراضي زراعية بالدرجة الأولى بالإضافة إلى محاجر و مناجم ومباني وغابات وحدائق و قطعان من الماشية و ورشات لصنع الطوب والقرميد و صناعات أخرى، وهاته الملكيات لا تقتصر على الأباطرة الرجال فقط، فحتى النساء لهن دومانات جد معتبرة خاصة بهن، وهذا طبعا كان من الأولويات من أجل جني ثروة خاصة تزيد يوما بعد يوم سواء في الأراضي الإيطالية أو المقاطعات خاصة في آسيا و إفريقيا و مصر، ففي موريطانيا القيصرية مثلا كانت "ماتيدي" Matidie ابنة أخت الإمبراطور "تراجان" Trajan وأم الإمبراطورة "صابين" Sabine زوجة الإمبراطور "هادريانوس" Hadrien تملك عددا من الأراضي، أين قامت بوضع مدير خاص Procurator rationis privatae من أجل تسييرها و مراقبتها. [10] مع العلم أن مصدر هذه المعلومات اتضح من خلال إحدى الكتابات بالإضافة إلى طاولة بوتينجير التي حملت اسم ماتيدي في منطقتين،[11] بالإضافة إلى "بودونتيلا" pudentilla زوجة "آبولي" Apullé التي كانت تملك عدة أراضي أين كانت تراقبها عن كثب و بطريقة دائمة. القديسة "ميلاني" Sainte Milanie بدورها كانت تملك أراضي واسعة في ضواحي "تاغست" (سوق أهراس) و التي منحتها لكنيسة المدينة بعد ذلك.[12]

وكما سلفنا الذكر بشأن مصادرة الرومان للرومان أنفسهم فلدينا مثال عن إحدى العائلات الثرية والمعروفة في إفريقيا خلال أواخر القرن الثاني للميلاد في منطقة "تيبيليس" (غرب قالمة)، ويتعلق الأمر بعائلة "الأنتيستيي" Antistii السيناتورية التي فقدت أراضيها. و على الرغم من قلة الأدلة حول هذه النقطة فإن "لطيفة دمسيري" حاولت معرفة السبب.

---

[8] - **PLINE l'ancien,** op.cit., XVIII,35, p.69.
[9] - **PICARD (G.-Ch.)**, op.cit, P. 62-63.
[10] - **DEMSIRI- LAADOUA (L.),** op.cit., p.262- 263.
[11] -**CAMPS-FABRER (H.),** op.cit., p.32.
[12] - **GSELL (Stph.)**, op.cit., p.p. 404-405.

فهناك كتابة وجدت في روما تكشف بأن هذه العائلة أصبحت "باتريسية" Patricienne منذ عهد الإمبراطور "مارك أوريل" Marc Aurèle، هذه العائلة التي أصلها من "تيبيليس" Thibilis أو سلاوة عنونة حاليا، نعرف شخصين من خلال الشواهد الكتابية و هما "كوينتوس أنتيستيوس أدفونتوس بوستيميوس آكيلينوس" Q.Antistus Adventus Postimius Aquilinus و أخوه "لوكيوس أنتيستيوس موندیسیوس بوروس" L.Antistius Mundicius Burrus .

هاذان الأخوان كانا يمارسان أعمال عسكرية و مدنية في مختلف مناطق الإمبراطورية الرومانية. وقد أصبح "لوسيوس أنتيستيوس بوروس" صهر الإمبراطور مارك أوريل أين زوجه إبنته البكر " فيبيا أوريليا صابينا" Vibia Aurelia Sabina في حوالي 178 ميلادي، كما أصبح أيضا كشقيق "لكومود" Commode ، وفي سنة 181 ميلادي اشتغل كقنصل في نفس الوقت مع هذا الأخير، وقد سمحت له هذه الوظيفة بالإضافة إلى كونه إبن إمبراطوري باكتساب قوة إجتماعية و إقتصادية، فهناك عدة كتابات تذكر وجود عدد معتبر من العبيد المعتوقون تابعين لعائلة الأنتيستيي في منطقة "تيبيليس" يشتغلون في الأراضي والدومانات الواسعة التابعة لها.

كان هذا الثراء من العوامل التي سمحت لهذه العائلة بالتأثير على السكان القاطنين في تيبيليس والمناطق المجاورة، حتى أثناء إقامتها في إيطاليا.

من جهة أخرى، إذا كانت هذه العائلة قد كسبت ثقة الإمبراطور "مارك أوريل" وذاع صيتها لدرجة كبيرة، فقد بدأ ينطفئ منذ فترة حكم "كومود" بعد مقتل "لوكيوس أنتيستيوس بوروس" سنة 187 ميلادي بأمر من الإمبراطور نفسه، و اختفى نهائيا خلال حكم العائلة السوفيرية التي كانت تخشى من أي عائلة كانت تربطها علاقة مع الأنطونينين.[13]

[13] - **DEMSIRI- LAADOUA (L.),** op.cit., p.270-271.

ب- الميراث أو الوصية:

تحدّث عدد من علماء الآثار و المؤرخون عن مصدر الضيعات في المغرب القديم ورجّحوا أنها جاءت إما من المصادرة كما ذكرنا سابقا أو من الميراث و الوصية؛ و لكن في حقيقة الأمر لم يلمحوا بعدم وجود ملكيات رومانية الأصل في هذا الجزء من العالم حتى يكون هناك ما يسمى بالميراث أو الوصية فيما بعد.

فمصدر هذه الأراضي جاء بعد سنوات عديدة من الإحتلال الروماني للمغرب القديم، و بطبيعة الحال بعد العمليات الأولى للمصادرة التي تمت في حق السكان المحليين.

وعلى العموم فإن أفراد العائلة الإمبراطورية كان لديهم فيما بعد عدد هائل من الضيعات في مختلف المقاطعات الإفريقية، و نفس الشيء بالنسبة لمختلف المحاجر وخاصة محاجر الرخام ، فهذه الأخيرة كثيرة في المغرب القديم و تختلف نوعيتها من محجرة إلى أخرى منها : محجرة عين السمارة بقسنطينة و جبل "فلفلة" بسكيكدة و "رأس الحمراء" (cap de garde) بعنابة و"شمتو" بتونس ...، هذه الأخيرة تحدث عنها "دوبوا شارل" بنوع من التفصيل في أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه.[14]

3- الضيعات الكبرى، أنواعها و إشكالية استقلاليتها عن المدينة:

حسب السيد "إدوارد بودوان"Edouard Beaudoui تبقى أعمال "م. سكولتون" M.Schulten من أهم الأعمال التي تدور حول المزارع الكبرى فأبحاثه حددت لنا بشكل دقيق قوانين هذه الأخيرة[15].

فالعقار الكبير ليس فقط ملكية جد واسعة كما يظهر من خلال اسمه، ولكن من وجهة نظر القانون فله طابع آخر جد مهم، إذ أن محيطها في الأساس ليس تابع في الحقيقة إلى إقليم المدينة. وهذه نقطة مهمة.

ومن المهم أيضا فهم أن في الفترة الإمبراطورية، يمكن أن يكون هناك عدد كبير من الملكيات ليست لها أي استقلالية بالنسبة للمدينة. و لكن أي دومان كبير فهو يخضع لنفس قوانين الدومانات الصغيرة، و الفارق الوحيد بينها هي المساحة فقط.

---

[14] - **DUBOIS Charles**, Etude sur l'administration et l'exploitation des carrières...,pp.29-45.
[15] - **BEAUDOUIN (E.)**, Les Grands Domaines dans l'empire Romain, p.7.

ويبقى العقار الذي يستحق فعلا دراسة معمقة هو ذلك الذي يخضع إلى قواعد خاصة، فهذا النوع لا يتميز فقط بشساعة المساحة التي يحتلها، و لكن أيضا غني بالقوانين التي تسيره على الرغم من وقوعه خارج إقليم المدينة، كما أن قوانينه ليست مرتبطة بها. فهذا الدومان هو المعروف باسم "السالتوس" Saltus، فخلال الإمبراطورية السفلى و في كثير من الأحيان خاصة في الغرب نجد تسمية "ماسا" *Massa* ،هذه العبارة حسب "م. سكولتون" M.Schulten هي "ماسا فوندوروم" *Massa Fundorum* بمعنى مجموعة من الفوندي*Fundi* خاضعة لنفس المالك،[16] كما أن افريقيا كانت الأرض الكلاسيكية للسالتوس بامتياز.[17]

أ– السالتوس:

هو عقار مستقل بذاته من الملكيات التابعة عامة للأباطرة أو لأعضاء مجلس الشيوخ،[18] وقد جاءت تسميته على هذا النحو نسبة إلى خصائصه الأولى التي تتألف خاصة من الغابات والمراعي. وبعد تألق سياسة الأباطرة أصبح السالتوس يغطي أيضا أشجار الزيتون و الكروم وفي بعض الأحيان حتى الحبوب، وفي المقابل حافظ على تسميته الأصلية. هذه العقارات هي في العموم مستثمرات جد ضخمة تعادل على العموم كما يقول "فرونتون" Fronton مساحة مدينة أو حتى تتعداها؛ ولكن حسب "كولندو" Kolendo فإن هذه المساحة مبالغ فيها،[19] فالعقارات المهمة و الواسعة كانت دائما تخضع لملكية الأباطرة، و لكن كبار الملاك بدورهم كسبوا عقارات كبيرة كانت تسمى بالعقارات الخاصة.[20]

ومن المنطلقين السابقين حول ملكية هذا النوع من العقارات يمكن فهم السبب التالي؛ أعضاء مجلس الشيوخ ليسوا من سكان المدينة القريبة من الدومان أو أي مدينة أخرى محلية ،فهم من مواطني روما فقط، و وفقا لذلك فإن دوماناتهم خارجة عن إقليم و قانون المدينة، و نفس الشيء وأقوى من ذلك بالنسبة للدومانات الخاصة بالأباطرة فهي الأخرى خارجة بحكم القانون عن إقليم وقانون المدينة؛ لأن الإمبراطور بدوره مواطن ليس تابع لأي مدينة. فالسالتوس إن صح القول يجب أن يتوفر فيه شرطين أساسيين: اولا أن يحتوي على مساحة جد واسعة و ثانيا ان يكون إقليمه مستقل بذاته.[21]

---

[16] - **Ibid.,** p.8.
[17] - **Ibid.,** p.9.
[18] - **Ibid**., p.10.
[19] - **KOLENDO (J.)**, op.cit., p.32.
[20] - **CAMPS-FABRER (H.),** op.cit., p.32.
[21] - **BEAUDOUIN (E.)**, op.cit., p.10-11.

فإيطاليا وفي الفترات الأولى للإمبراطورية لم تكن تتوفر كثيرا على هذا النوع من الملكيات، على عكس المقاطعات الخاضعة للإمبراطورية وبصفة خاصة الإفريقية؛ لأن الأراضي الواسعة الموجودة فيها لم تكن خاضعة لأي هيئة أو ملكية رومانية من قبل.[22] مع العلم أن سبب قلة دومانات الأباطرة في روما وفي إيطاليا بصفة عامة راجع إلى قوة الطبقة السيناتورية التي تملك هي الأخرى أراضي واسعة بجانب تلك التابعة للإمبراطور. و بالتالي فإن جل هذه الأخيرة نجدها في المقاطعات.[23]

وحسب السيد هيس His الذي قام بدراسة الدومانات الإمبراطورية الرومانية les domaines impériaux romains فقد ذكر بأن لولا هذه الأخيرة لما تم منح أي امتياز لأي سالتوس، خاصة فيما يخص الإستقلالية.[24]

ولتأكيد بأن المزارع الكبيرة و حتى تلك التابعة للأباطرة تخضع لقانون إقليم المدينة، و بالتالي لا يمكن اعتبارها مستقلة بأراضيها، فقد لاحظ السيد "هيس" His من خلال عدد معتبر من النصوص والكتابات أنه أورد بوضوح عبارة «في إقليم *in territorio*» التي تحدد المدينة. كما أن السيد "سكولتان" Schulten اعترف بأن هذا يحدث في بعض الأحيان[25]، ففي مدينة قالمة مثلا نلاحظ بأن هناك أراضي إمبراطورية تقع في إقليم المدينة، كما هو الحال بالنسبة لدومان عين النشمة (Populus Thababursitanus) التي تبعد بحوالي 3 كلم فقط عن مدينة كالما Calama .

وقد أظهر فرونتان Frontin في نص في كتابه القواعد القديمة *Gromatici Veteres* بأن الدومان الإمبراطوري أو الخاص في إيطاليا يندرج ضمن نطاق المدينة و تابع لها،وهذا النص جاء كمايلي:

-« per Italiam; ubi nullus ager est tributarius, sed aut colonicus, aut municipalis, aut saltus privati»

– «Nam inter res publicas non mediocriter eusmudi controversia solet exerceriquam frequenter coloniae habent cum coloniis aut municipiis aut privatis»

فهذه الظاهرة اقتصرت على إيطاليا فقط.

---

[22] - **Ibid.,** p.p.12-13-14.
[23] - **DEMSIRI- LAADOUA (L.),** op.cit., p.263- 264.
[24] - **BEAUDOUIN (E.)**, op.cit.,. p17.
[25] - **Ibid.,**p17.

وفي نص آخر يشير إلى عكس ذلك، حيث أن الدومان لا يرتبط إطلاقا مع المدينة وأنه يتمركز خارج نطاقها

-« Inter res P(ublica) et privatos (...)controversiae moventur, sed frequenter in provinciis, praecipue in Africa, ubi saltus non minores habent privati quam resp(ublicae) territoria»

كما يشير "بلين" في كتابه التاريخ الطبيعي بأن السالتوس يشكل نطاقا ذاتيا مستقلا عن إقليم المدينة.[26]

كما كان مصدر هاته الأراضي على العموم إما الإرث، أو الإبعاد و المصادرة خاصة في الأراضي الإفريقية التي كان فيها الأباطرة من كبار الملاك الحائزين على أجود الأراضي.[27]

وحسب السيد "كاركوبينو" Carcopino الذي وضع رسم يذكر فيه أهم عقارات السالتوس المحيطة بواد مجردة والتي تم التعرف عليها بفضل نقيشات عثر عليها في المنطقة أين سجلنا مايلي: "سالتوس نيورنيانوس" Saltus Neronianus و"توزريتانوس" Tuzritanus و"لاميانوس" Lamianus و"دوميسيانوس" Domitianus و"بلانديانوس" Blandianus و"تيباريتانوس" Thibaritanus و"بورونيتانوس" Burunitanus.[28]

أما العقارات الأخرى التي لم تسند هي الأخرى للقوانين، فهي تلك التابعة للدولة و التي كانت تستغل عامة من طرف أصحاب الملكيات، ومع الوقت و شيئا فشيئا أصبحت هذه الحيازة ملكية خاصة.

ويبقى أن نفهم كيف أنه تم إنشاء دومانات متشابهة و مستقلة في الإمبراطورية، فتوسيع الممتلكات كان بمثابة فخر و اعتزاز و شغف من طرف الرومان والتي تكلمت عنه كثيرا النصوص الكلاسيكية القديمة، و هذا ما نتج عنه ما يسمى بـ:

ب- اللاتيفونديا *Latifundia* و الفوندس *Fundus*:

تعني اللاتيفونديا ملكية جد واسعة ، هذه الأخيرة لا تقتصر بالضرورة على السالتوس، فهي في حقيقة الأمر عبارة عن مجموعة من الفوندي *Fundii* الخاضعة لملكية نفس الشخص ولا يشترط أن يكون من الإقطاعيين، فأراضي هذه الأخيرة كانت تضم على التوالي من طرف المالك إلى هذه الدومانات، مغتنمين بذلك الظروف مما يحتم على الفلاحين الصغار بيع أراضيهم للأغنياء بحكم مجاورة أراضيهم، وهذا

[26] - **DEMSIRI- LAADOUA (L.),** op.cit., p.274-275.; **PLINE L'ancien**, op.cit., III, 116.
[27] - **DEMSIRI- LAADOUA (L.),** op.cit., p.264.
[28] - **CAMPS-FABRER (H.),** op.cit., p.32.

ماتفسره نفس الأسامي التي تحملها العديد من الدومانات الإيطالية في الكتابات الغذائية خلال فترة حكم الإمبراطور تراجان Trajan .[29]

تظهر كذلك بعض المنازل الريفية في المغرب القديم من خلال مشاهد بعض اللوحات الفسيفسائية منها فسيفساء طبرقة المؤرخة بالقرن IV ميلادي و المحفوظة حاليا بمتحف الباردو بتونس، والتي تظهر من جهة تخطيط المنزل الريفي بالإضافة إلى بعض كروم العنب الواقعة خلف المنزل.

فالمؤرخين الدارسين لإفريقيا و المهتمين بالمجال الريفي، صبوا جل اهتمامهم في دراسة المزارع الكبيرة والضيعات الواقعة على ضفاف واد مجردة حتى إلتقائه مع واد سليانة.[30]

حسب رسائل القديس أغسطين و بعض الوثائق الأخرى، فإن العشرات من رجال الدين كانوا يقطنون في مختلف المزارع الكبرى أو الدومانات من أجل ضمان العلاج النفسي، إلا أن هذا لا يمكنه أن يعطينا العدد الصحيح للمزارع، و من دون شك فحتى رعايا الأبرشية تم وضعهم من طرف أغسطين وأسلافه في جميع حوض السيبوس و المرتفعات المحيطة به، حيث تمت الإشارة إلى فوندس *Fundus* في مكان قريب من "قالمة" Calama والذي كان تابعا لأحد الأباطرة وأن الأسقف الدوناتي "كريسبينوس" crispinus حصل فيه على عقد إيجار طويل المدى (bail emphytéose)، هذا الأخير يطلق عليه اسم "فندس المابالیا" (fundus mappaliensis) ، والذي مازال سكانه يتحدثون باللغة البونية مثل ماهو الحال في ضواحي "فوسالا" *Fussala* . مع العلم أن في هذا الفندس لا توجد المباني المسماة بالمابالیا وإنما حافظ على طبونيمية قديمة فقط، فمعرفة هذا الفوندس حاليا ، كانت بفضل الأسقف الدوناتي الذي أرغم 80 شخصا من المعمرين على الخضوع للتعميد، وهذا ما صرح به القديس أغسطين، أما عن العدد فقد إعتبره "كلود لوبلي" أنه يمثل كافة سكان العقار الفلاحي، بمعنى المعمرون وعائلاتهم، وإذا ما وضعنا طفلين لكل عائلة (هذا كأدنى تقدير)، فهنا يصبح لدينا عشرين عائلة وبالتالي عشرين حيازة، هذا ما يعني بأن الدومان ليس كبير ولا يمكن أن يكون أو يشكل ما يسمى باللاتيفونديا. [31]

كما يجدر بنا الإشارة بأنه في سنة 399 للميلاد ، قابل القديس أغسطين أثناء إقامته في قرطاج الأسقف الدوناتي لقالمة "كريسبينيوس" (الرسالة 51 تتعلق بهذه المقابلة)، ففي هذه المراسلة قام أغسطين

---

[29] - **BEAUDOUIN (E.)**, op.cit.. p11-12.

[30] - **FEVRIER (P.A.)**, Approche du Maghreb Romain…, Tome II p.79.

[31] - **FEVRIER (P.A.)**, op.cit., p.76.; **LEPELLEY (C.),** deux témoignages de saint augustin sur l'acquisition d'un domaine impérial à bail emphytéotique, **B.C.T.H.,n.s**.,17,1981, p.p.276-277.

بتذكير الأسقف ظروف هذه المقابلة، و أكد أن حضوره هو من أجل وضع حل قانوني لجملة من المشاكل العالقة و الخاصة "بفندس المابالياي" (fundus mappaliensis).[32]

تم أخذ جزء من الزيت من طرف الدولة في منطقة قالمة دائما خلال القرن IV ميلادي ، كما أنه توجد مزرعة كبيرة في ضواحي قالمة عرفت قديما بـ: "فوندس أوليفيتانسيس" *fundus olivetensis* [33] وحسب الشواهد الأثرية و الكتابية، فإنها كانت تحتوي على عدد من المزارع الكبيرة و الدومانات، منها "فوندس فيقولينانسيس" *Fundus Figulinensis* الذي نجى منه أسقف قالمة "بوسيدوس" *possidus* من كمين، أين تخبأ بعدها في "فوندس أوليفيتانسيس " *fundus olivetensis* وحسب "بول آلبير فيفري" Paul-Albert FEVRIER فإن تسمية هذا الفندس استمد من وحدة لصنع القرميد والآجر والأواني المنزلية و أي شيء آخر يتم صنعه من الطين. كما أشار أيضا إلى فوندس آخر قريب من قالمة تابع للإمبراطور تم كرائه لمدة طويلة من طرف الأسقف الدوناتي.[34] وهو ما أشار إليه "ريبود" Reboud من خلال وصفه للمخلفات الأثرية الموجودة في مزرعة شيمول و التي يمكن أن تكون هي نفسها فوندس فيقولينانسيس لما تحتويه من مخلفات فخارية مع الفرن[35].

كما أن عددا من الكتابات الخاصة بمنطقة قالمة والتي تشير إلى بعض العبيد التابعين للإمبراطور؛ هذا ما يعنى أن منتوجات هذا العقار كانت تذهب إلى روما[36]. ومن دون شك أنه كانت توجد أعداد معتبرة من الضيعات على مشارف الأودية منها وادي الشارف و السيبوس، خاصة في المناطق ذات الطبوغرافية السهلية، مثلما أكده "القديس أوغسطين" Saint Augustin في وصفه للريف المحيط بمدينة "هيبون" Hippone أو عنابة حاليا عند مصب واد السيبوس؛ « رأينا خاصة دومانات كبيرة مستغلة من طرف هيئات يشغلها مستوطنين، تعمل كثيرا على تخفيض نسبة الفقر؛ إذ أن أصحاب هذه الملكيات يمارسون السلطة الإقتصادية و الإجتماعية و الدينية من دون تقاسمها مع عائلاتهم وذويهم، و يذهبون حتى إلى إرغامهم على إعتناق ديانتهم الخاصة (*Epist.66*).[37]

---

[32] - **FERDI (S.),** Saint Augustin en visite pastorale dans les campagnes d'Hippone, Scripta antiqua 14, 2003, p.111.

[33] - **BRUN (J.P.),** Archéologie du vin et de l'huile dans l'empire romain, p.220; **DEMSIRI- LAADOUA (L.),** op.cit., p.14- 20.

[34] - **FEVRIER (P.A.)**, Op.cit, p.76.

[35] - **REBOUD,** Excursion dans la Mahouna et ses Contreforts (1ère partie), R.S.A.C., XXII, 1882. p49-50.

[36] - **BRUN (J.P.),** op.cit., p.220..

[37] - **Ibid.**, p.220..

وحسب "شارل بيكارد" Charles Picard ، فإن المغرب القديم عرف ثلاث أنواع من المستثمرات الفلاحية: المستثمرات الخاصة بالبدو و المشكلة أساسا من تربية المواشي مع بعض الزراعات الخاصة بالواحات، و التي أشار إليها "بلين" Pline في منطقة قابس بتونس، بالإضافة إلى مختلف الزراعات التي مورست من طرف القرطاجيين و زراعة الحبوب المفروضة في نفس الوقت من طرف الملوك النوميد، و أخيرا النظام الإقطاعي الروماني les latifundiaires من خلال المزارع الكبيرة les grands domaines ، تطور الزراعة الرومانية كان على حساب طرد البدو، ثم القضاء على أحادية الزراعة والعودة إلى تنوع الإنتاج، معتمدين في ذلك على المناهج القديمة و لكن بعمليات تقنية حديثة.[38]

أما "لوفو" (Leveau) فقد وجد صعوبة في وضع تصنيف خاص بالفيلات المتواجدة في ضواحي شرشال على الرغم من قيامه بوضع أكثر من 40 مخطط، و السبب في ذلك راجع إلى غياب الحفريات باستثناء مزرعة الناظور ،[39] و هو نفس الإشكال الذي تم الوقوع فيه في منطقة قالمة.

وحسب الدراسة التي أجرتها "لطيفة دمسيري" حول المزارع الإمبراطورية في المغرب القديم الرومانية؛ فإن عبيد الأباطرة غير موجودين في المناطق الريفية التابعة لمقاطعة موريطانيا القيصرية، إلا أننا نجدهم بنسبة قليلة في المقاطعة النوميدية، و على العكس تماما في المقاطعة البروقنصلية، أين نجد عبيد و معتوقوا الأباطرة بنسبة كبيرة خاصة قبل بداية القرن III ميلادي.[40] و هذا ما بينته مجموعة من النقيشات اللاتينية الموجودة في منطقة كالما أو قالمة و التي سوف نتطرق إليها بنوع من التفصيل في الدراسة التحليلية لهذا البحث.

وكما هو معروف في المغرب القديم بأن السكان المحليين كانوا يعانون الفقر و الحرمان، إلا أن هذا لم يمنعهم من الإنجاب. فكان هناك الكثير من الأطفال حديثي الولادة الذين تم التخلي عنهم، وأصبحوا ملكا لمن قام بجمعهم و إحتضانهم، أين أصبحوا من العبيد، و كان يطلق عليهم اسم "الآلومني" *Alumni* ، مع العلم أن هذا الإسم كان متداول في عدد معتبر من الكتابات الإفريقية؛ البعض من هاؤلاء العبيد أعتقوا و حتى تم تبنيهم من طرف أسيادهم.[41]

---

[38] - **PICARD (G.-Ch.)**, op.cit, P.97.

[39] - **LEVEAU (Ph.),** Caesarea de Maurétanie, p.399.

[40] - **DEMSIRI- LAADOUA (L.),** op.cit, p.262.

[41] – الكتابات الحاملة لعبارة **آلومني** نجدها في مدونة الكتابات اللاتينية : **(C.I.L. VIII)** ، 410، 11576، 12778، 12879، 13328، 22928، 22993، 24687، 2394، 2396، 2773، 3002، 3288، 7078، 7754./ **, Gsell)**.
I.L.A., I) 1810، 3209، 3771،3229.

يوجد أيضا عدد معتبر من العبيد ممن يطلق عليهم "فيرنا" *Vernae*، وهم الذين عرفوا النور وولدوا من طرف نساء عبيد، إذ أنهم وجدوا أنفسهم مباشرة عبيد لنفس سيد أمهاتهم، وهذا ربما كان من المصادر الرئيسية للعبيد خلال الفترة الرومانية في المغرب القديم.[42]

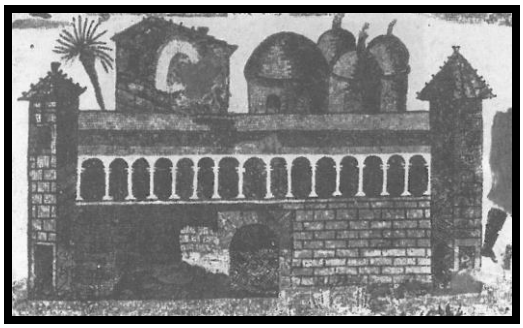

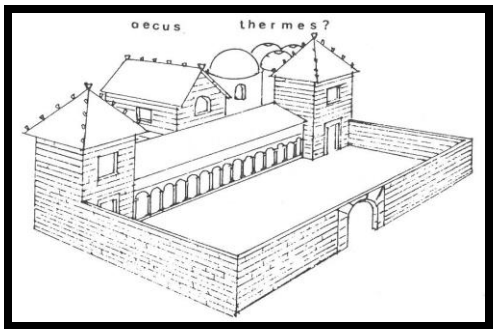

شكل –1–: فيلا وسط فسيفساء "السيد يوليوس" آتية من قرطاج ومحفوظة في متحف الباردو مع رسم تخطيطي لنفس المنزل
عن (دوفال C.T.H.S. 1985) (رسم ي. جونيوس)

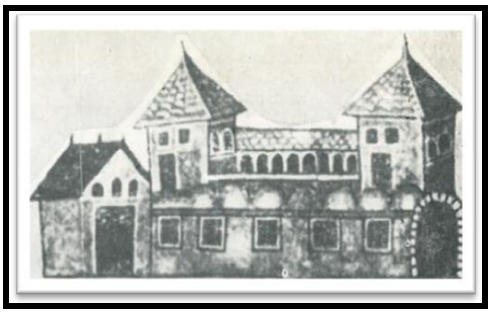

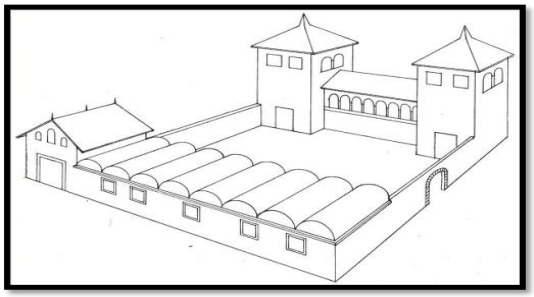

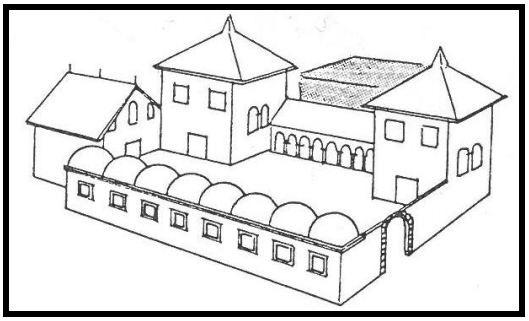

شكل –2–:مشهد إحدى المنازل في فسيفساء طبرقة مع رسمين تخطيطين لنفس المنزل.(عن سارنوفسكي 1978) و (دوفال1985 .C.T.H.S) (رسم ي. جونيوس)

[42] - **Gsell (S.),** Esclaves..... p. 398.

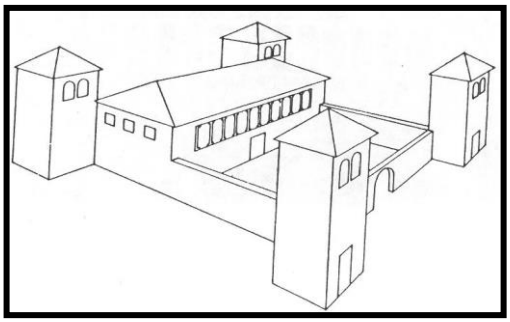

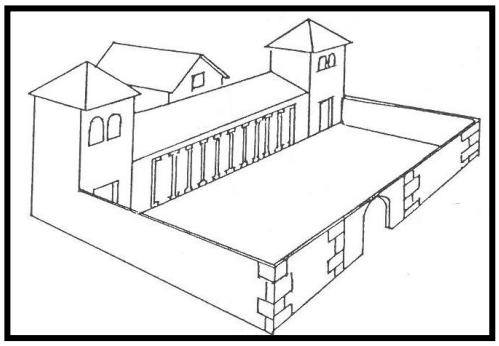

شكل –3–:مشهد إحدى المنازل في فسيفساء الصيد بمتحف قسنطينة مع رسم تخطيطي لنفس المنزل (عن سارنوفسكي 1978) و (دوفال C.T.H.S. 1985) (رسم ي. جونيوس)

إحدى واجهات فيلا ريجينا ببوسكوريال